جمالية الوجود

حوار مع ميشيل فوكو

ترجمة: محمد زويتة/حميد طاس

سؤال: لقد مرت سبع سنوات على صدور كتاب **إرادة المعرفة**. أعلم بأن كتبك الأخيرة قد طرحت لك مشاكل، كما أنك صادفت صعوبات متعددة. وددت لو تحدثني عن تلك الصعوبات وعن تلك الرحلة داخل العالم اليوناني-الروماني والذي إن لم يكن بالنسبة لك مجهولا فهو على الأقل شيئا ما غريب.

جواب: تأتي الصعوبات من المشروع ذاته، والذي يسعى بالضبط إلى تجنبها.. فعبر برمجة العمل إلى مجموعة من المجلدات انطلاقا من تصميم مهيأ سلفا، قلت مع نفسي بأنه قد حان الوقت الآن لكتابتها بدون مشاكل، والقيام ببساطة بتأكيد كل ما يدور في رأسي بواسطة عمل ميداني... لقد كدت أموت من شدة القلق وأنا أكتب هذه الكتب: فهي تشبه كثيرا سابقاتها، بالنسبة للبعض فإن كتابة كتاب هي دائما مجازفة بشيء ما... على سبيل المثال عدم التوفق في كتابته. عندما نعلم مسبقا أين نود الوصول [فيلزم مراعاة] بعد التجربة والذي يقوم أساسا على إنجاز كتاب ما، مع الخوف من عدم الوصول إلى النهاية المرجوة.

وهكذا غيرت مشروعي بالكامل: لقد حاولت البحث هناك بعيدا حول كيف تكونت، بالنسبة للذات نفسها، تجربتها الجنسية كرغبة. من أجل إبراز هذه الإشكالية، كنت ملزما بالعودة إلى النصوص اللاتينية والإغريقية القديمة جدا، والتي تطلبت مني الكثير من الإعداد ومن المجهودات، والتي تركتني حتى النهاية حائرا ومترددا في مواقف متعددة.

س: هناك دائما نوع من "القصدية" داخل مؤلفاتك والتي غالبا ما تنفلت بالنسبة للقراء، فقد كان **تاريخ الجنون** في العمق تاريخا لرصد تشكل هذه المعرفة التي سميت "بعلم النفس". أما **الكلمات والأشياء** فقد كان بمثابة أركيولوجيا للعلوم الإنسانية، ثم **الحراسة والعقاب** الذي عمل على رصد أشكال التأديب المنصبة على الجسد والروح. يبدو لي أن ما هو مركزي في مؤلفاتك الأخيرة هو ما تسمونه "بلعبة الحقيقة".

ج: لا أعتقد بأن هناك اختلافا كبيرا بين هذه الكتب وسابقاتها، كثيرا ما نرغب، كما هو الأمر بالنسبة لهذه الكتب، في تغيير كل ما فكرنا فيه، لنجد أنفسنا أخيرا بأننا غيرنا قليلا...

ربما غيرنا المنظور، وأننا بقينا نحوم حول المشكلة التي هي دائما نفسها أي العلاقات بين الذات والحقيقة وتشكل التجربة. كنت أبحث [عن ما يلي]: كيف أن مجالات محددة مثل الجنون والجنسانية والانحراف يمكن أن تتم إعادة إدماجها داخل نوع من لعبة الحقيقة. يضاف إلى ذلك ما يلي: كيف أن الذات الفاعلة نفسها، من خلال إدماج الممارسة الإنسانية وسلوكاتها داخل لعبة الحقيقة، وجدت نفسها متأثرة بذلك... تلك هي مشكلة تاريخ الجنون والجنسانية...

س: ألا يتعلق الأمر، في العمق، بجينالوجيا جديدة للأخلاق؟

ج: إذا لم يكن تبجيلا لاسم ذا جدارة ولوسم عظيم فرضه ف.نيتشه، سأقول نعم.

س: في مقال صادر في مجلة (مناظرة) لشهر نونبر 1983. تحدثت، بصدد العصور القديمة، عن أخلاق موجهة نحو الايتيك. وعن أخلاق موجهة نحو القاعدة أو القانون الأخلاقي، ألا يتعلق الأمر بقسمة بين أخلاق يونانية-رومانية وأخلاق ولدت مع المسيحية؟؟

ج: مع المسيحية، لاحظنا بداية تغيير بطيء وتدريجي إزاء أخلاق العصور القديمة التي كانت أساسا ممارسة [وقد اتخذت] أسلوبا للحرية. طبيعي أنه كانت هناك أيضا بعض المعايير السلوكية التي توجه سلوك كل فرد. غير أن ما يلزم التأكيد عليه هو أن إرادة أن يصبح الفرد ذاتا أخلاقية، والبحث عن إيتيك وجود كانا أساسا، في العصور القديمة، مجهودا من أجل تأكيد

حريته، وكذا من أجل إعطاء حياته الخاصة شكلا يمكن أن يتعرف من خلاله على نفسه، كما يتعرف عليه الآخرون، وحيث تستطيع الأجيال القادمة نفسها أن تجد فيه مثالا...

يبدو لي أن عملية تدبير الفرد لحياته الخاصة كعمل فني شخصي، حتى ولو كان خاضعا لقوانين جماعية، هي في صميم التجربة الأخلاقية وإرادة الأخلاق... في حين شكلت المسيحية، مع النص الديني وفكرة إرادة الله، مبدأ انقياد وامتثال... [وهكذا] أخذت الأخلاق كثيرا شكل قانون لقواعد أخلاقية، (علما أن بعض الممارسات الزهدية قد كانت أكثر ارتباطا بممارسة الحرية الشخصية).

من العصور القديمة إلى المسيحية، تم إذن الانتقال من أخلاق كانت أساسا بحثا عن إيتيك شخصي إلى أخلاق هي بمثابة انقياد لنسق من القواعد. وإذا كان اهتمامي قد انصب أساسا على العصور القديمة، فذلك لأسباب كثيرة أهمها أن الأخلاق كانقياد لنسق من القواعد هي في الطريق الآن إلى الزوال أو قد زالت تماما، وعلى أساس هذا الغياب يلزم الاستجابة لبحث يمكن وسمه بجمالية الوجود [مرتبط طبعا بالايتيك الشخصي].

س: هل استطاعت كل المعارف، التي تراكمت في السنوات الأخيرة، حول الجسد والجنسانية وحول حقول معرفية أخرى... أن تحسن علاقتنا بالآخرين... ووجودنا في العالم؟

ج: لا يمكن أن ننكر بكون سلسلة من القضايا التي أعيد التفكير فيها، ولو باستقلال عن الاختيارات السياسية، حول بعض أشكال الوجود، وحول قواعد سلوكية ما... قد كانت جد مثمرة وعميقة مثل العلاقة مع الجسد وبين الرجل والمرأة والجنسانية...

س: وإذن فهذه المعارف قد ساعدتنا على أن نحيا بشكل أحسن؟؟

ج: لا يرتبط الأمر فقط بتغيير على مستوى الاهتمامات، وإنما بتغيير يخص الخطاب الفلسفي النظري والنقدي: فعلا، فداخل العديد من التحاليل المنجزة، لا نقترح على الأفراد ما يلزم أن يكونوا عليه، ما يلزم أن يقوموا به، ما يلزم أن يعتقدوا به وأن يفكروا فيه...

يتعلق الأمر قبل ذلك بإظهار كيف استطاعت الميكانيزمات الاجتماعية أن تشتغل لحد الآن، وكيف عملت أشكال القمع والتقييد... ثم انطلاقا من ذلك يبدو لي [من الضروري] أن نترك للأفراد، من خلال معرفة كل ذلك، صلاحيات اتخاذ القرار والقيام بما يناسب وجودهم.

س: منذ خمس سنوات، بدأنا نتابع حلقاتك الدراسية لكوليج دوفرانس*، فقلنا إذن بأن م.فوكو، من خلال تفكيره حول الليبرالية، سيقدم لنا كتابا حول السياسة. تبدو الليبرالية أيضا كانعطاف من أجل إعادة اكتشاف الفرد فيما وراء ميكانيزمات السلطة. نعلم معارضتك للذات الفينومولوجية. في تلك الفترة بدأ الحديث عن ذات مرتبطة بالممارسة، كما أن إعادة قراءة الليبرالية قد تمت شيئا ما حول ذلك... ليس غريبا أن يتردد القول: لا توجد هناك ذات بالنسبة لفوكو... الذوات هي دائما خاضعة، إنها نقطة ارتكاز بالنسبة للتقنيات وللمعارف التأديبية غير أنها لم تكن مطلقا ذوات سيادة...

ج: يجب التمييز: بداية لا أعتقد فعلا بوجود ذات سامية، أعلى، مؤسسة، شكل كوني لذات يمكن أن نجدها في كل مكان. إنني جد مرتاب وأكثر معارضة لهذا المفهوم عن الذات، بالعكس فأنا أعتقد بأن الذات قد تشكلت من خلال ممارسات إخضاع وانقياد، أو بطريقة أكثر استقلالية من خلال ممارسات للحرية مثل العصور القديمة، انطلاقا بطبيعة الحال من عدد معين من القواعد والأساليب والتعاقدات التي نجدها داخل الوسط الثقافي...

س: يجرنا هذا إلى الوضعية السياسية الحالية [حيث تتميز] هذه الأزمنة العصيبة بما يلي: على المستوى الدولي هناك ابتزاز [معاهدة] يالطا ومواجهات بين القطبين، على المستوى الداخلي هناك شبح الأزمة، إزاء كل ذلك يبدو أن ليس هناك بين اليسار واليمين سوى اختلاف في الأسلوب. كيف نقرر إذن إزاء هذا الواقع والذي يبدو واضحا بأنه بدون بديل ممكن؟.

ج: يبدو لي أن سؤالك هو في نفس الوقت صحيح وجد مختزل [ولذلك] يلزم أن نقسمه إلى نوعين من الأسئلة: قبل كل شيء يطرح السؤال التالي: هل يجب أن نقبل أم نرفض؟ ثانيا إذا

رفضنا ماذا يمكننا أن نفعل؟. بالنسبة للسؤال الأول تلزم الإجابة بدون أي غموض: يجب عدم قبول سواء مخلفات الحرب أو تمديد وضعية استراتيجية معينة في أوروبا، أو أن يكون نصف أوروبا مستعبدا...

بعد ذلك يطرح السؤال الثاني: ما الذي يمكن القيام به ضد سلطة كتلك السائدة في الاتحاد السوفياتي بالنسبة لحكومتنا الخاصة، ومع شعوب يقع فيما بينها ستار من حديد، ترفض الاحتكام إلى القسمة كما تمر وضعها... بالنسبة للاتحاد السوفياتي لا يوجد شيء كثير يمكن القيام به، ماعدا المساعدة الفعالة بالنسبة لأولئك الذين يصارعون في عين المكان، أما بالنسبة للهدفين الأخيرين، فيمكن التأكيد على أن عملا كثيرا يجب القيام به...

س: لا يجب إذن أن نتحمل وضعية يمكن أن نقول عنها هيغيلية تقوم على قبول الواقع كما هو وكما يقدم لنا، يبقى هناك سؤال أخير: هل توجد هناك حقيقة داخل السياسة؟

ج: أعتقد كثيرا في الحقيقة حتى لا نفترض بأن هناك حقائق مختلفة وطرق مختلفة لقولها. صحيح أنه لا يمكن أن نطلب من حكومة ما قول الحقيقة، كل الحقيقة ولا شيء غيرها. غير أنه وعوضا عن ذلك من الممكن أن نطلب من الحكومات نوعا من الحقيقة بخصوص مشروعات محددة أو اختيارات عامة بالنسبة للآليات المعتمدة، أو عدد معين من النقط الخاصة المرتبطة ببرامجها: إنها الكلام الحر أو الصراحة [بالمعنى اليوناني]. صراحة المحكوم الذي يمكن، بل يلزم عليه أن يساءل الحكومة باسم المعرفة وباسم التجربة التي يمتلكها، بل باعتباره مواطنا له الحق في معرفة ما يقوم به الآخر (المسؤول الحكومي) حول معنى أفعاله وحول الإجراءات التي اتخذها، يلزم بالمقابل أن نحترز من تلك الخديعة التي يود الحاكمون أن يسقطوا فيها المثقفون، والتي عادة ما تنطوي عليهم، والتي شعارها: "ضعوا أنفسكم في مكاننا ثم قولوا لنا ماذا ستفعلون". إنه سؤال لسنا في موقع الإجابة عنه. ذلك أن أخذ قرار معين حول قضية معينة يقتضي معرفة الملفات التي تم رفضها، ثم تحليل الوضعية، والتي ليست لنا الإمكانية للقيام بها. لنقل إذن إن في الأمر خديعة...

لم يبق لنا على الأقل إذن باعتبارنا محكومين إلا أن نؤكد بالطبع على الحق في طرح أسئلة الحقيقة "ماذا تفعلون مثلا عندما تكونون معارضين لصواريخ عابرة لأوروبا أو بالعكس عندما تساندونها... أو عندما تفتحون ملف التعليم الخصوصي".

س: داخل هذا الانحدار الجهنمي الذي هو عبارة عن تأمل وبحث طويلين... انحدار يقتضي بمعنى من المعاني البحث عن الحقيقة، ما نوع القارئ الذي تودون لقاءه؟ ذلك أنه كلما كان من الممكن وجود كتاب جيدين هناك بالمقابل تناقص تدريجي للقراء الجيدين.

ج: سأقول قراء. صحيح بأننا لم نعد نقرأ نهائيا... الكتاب الأول الذي نكتبه يقرأ لأننا مازلنا مجهولين، ولأن الناس لا يعرفون من نحن. كما أنه يقرأ داخل نوع من الاضطراب والغموض، ليس هناك من سبب في أن ننتج ليس فقط الكتاب، ولكن قانونه أيضا، القانون الوحيد هو كل القراء المحتملين. لا أرى سلبيات كبيرة إذا كان كتابا قد قرىء وبطرق مختلفة، ما هو خطير هو أنه كلما كتبنا كتبا لم نعد نقرأ... ثم من تشويه إلى آخر، عبر قراءات غير مباشرة، نصل إلى إعطاء الكتاب صورة حتما مشوهة... هنا تطرح فعلا مشكلة: هل يلزم دخول حلبة الجدل وإجابة كل واحد عن تشويهاته، وبالتالي سن قانون للقراء وهو ما ينفرني... أو أن نترك الأمور كما هي...

ما ينفرني أيضا هو أن يتم تشويه الكتاب لدرجة يصبح معها الكتاب ممسوخا/كاريكاتوريا لذاته؟

سيكون هناك حل: القانون الوحيد على الصحافة، القانون الوحيد على الكتاب الذي أود أن يسن سيكون هو تحريم استعمال اسم الكاتب مرتين مع إضافة الحق في إغفال الاسم أو انتحال اسم مستعار، وذلك حتى يقرأ الكتاب لذاته، هناك كتب تشكل معرفة كاتبها مفتاحا للفهم، غير أنه خارج بعض الكتاب الكبار، وبالنسبة للأغلبية، فإن هذه المعرفة لا تصلح مطلقا

لشيء، إنها تصلح فقط للرؤية... بالنسبة لشخص مثلي، ليس كاتبا كبيرا ولكن فقط شـــخص يصنع كتبا، فإننا نود بأن تقرأ لذاتها بعيوبها وبجودتها المتوقعة...

الإحالة الواردة في النص

* يتعلق الأمر بالحلقات الدراسية لسنة 1980/79 المخصصة لبعض مظاهر الفكر الليبرالي للقرن19م.

هذا النص وارد في Dits et écrits الجزء الثاني غاليمار، 2001، من صفحة 1549 إلى ص.1554.